مجلـــة

كلية دار العلوم

مجلة علمية محكمة تصدرها كلية دار العلوم

جامعة القاهرة

يناير ٢٠١٣م

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

مجلة كلية دار العلوم

مجلة علمية محكمة تصدرها كلية دار العلوم

أنماط الاستثمار في مدينة بيت المقدس

عصر سلاطين المماليك

دراسة وثائقية

د. محمد سالم بكر باعامر (*)

المستخلص :

تعتمد هذه الدراسة على المصادر الأصلية الصادقة التي تكذب ادعاء الفكر الصهيوني ، والتي تؤكد على عروبة القدس عبر كل عصور التاريخ .

وفي السنوات القليلة الماضية احتفل الصهاينة بمرور خمسين عام على إنشاء دولتهم المغتصبة والمؤقتة ، بينما يتباكى العرب والمسلمون على هذه الحادثة التي أرخت لنكبة الشعب الفلسطيني ، واحتلال أرضه ، وتشريده وشتاته. كما أعلن رئيس وزراء إسرائيل تهويد مدينة القدس ، العاصمة الأبدية لفلسطين ، محاولا طمس هويتها الإسلامية واتخاذها عاصمة موحدة للدولة الصهيونية الباغية .

وقد تناولت الدراسة أنماطًا مختلفة من الاستثمار في ذلك العهد، مدعومة بما جاء في وثائق الحرم القدسي الشريف التي اعتمد عليها الباحث بصورة أساسية للتأكيد على تاريخية عروبة القدس من خلال محتويات الوثائق، وأثبتت هذه الدراسة بالدليل القاطع عروبة القدس ، ونتطلع إلى أن يجد من يقرأ

(*) أستاذ مشارك تاريخ العصور الوسطى – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة الملك عبد العزيز – جدة .

هذه الدراسة المتعة والفائدة والله نسأل أن يوفقنا إلى إيصال صوت الحق إلى مسامع المحافل الدولية والعالمية وتشتمل الدراسة على :

مقدمة– والسياحة الدينية والاستثمار – والزراعة والاستثمار – والتجارة والاستثمار– والصناعة والاستثمار – والمرأة المقدسية واستثماراتها – والعلم والاستثمار منه – والمنشآت الاجتماعية واستثماراتها – الخاتمة. ثم قائمة المصادر والمراجع – ومستخلص باللغة الإنجليزية.

* *

المقدمة :

إن قصص السلف من أبناء بيت المقدس جديرة بأن يعرفها الجيل الحاضر من العرب وغيرهم معرفة عميقة، لا سيما في هذه الآونة التي نفتقر فيها إلى أن نزداد ثقة بأنفسنا عن طريق ثقتنا بماضينا، ونحس إحساسا عميقا بجلال هذا الماضي، ووفرة حظه من المجد، وخصوصًا في مواجهة ما يقوم به الأعداء من تشويه لتاريخ العرب في مدينة بيت المقدس. ونحاول أن نجلوا عن قوميتنا ما ران عليها من صدأ الضعف والاستكانة عبر الماضي القريب، فنستمد من هذا الماضي العريق قوة تعيننا على المضي قدما في بناء مستقبلنا الجديد، واستعادة مكانتنا السامية التي كانت لنا بين الأمم.

ومما لا شك فيه أن موضوع أنماط الاستثمار، أو تثمير المال بلغة الماضي لجدير بالدراسة؛ لأنه لم يأت مصادفة أو دون مبررات، بل كان نتيجة طبيعية لشعب عاش على أرض وطنه واستفاد من إمكانياتها، فضلا عن أن المكتبة العربية في حاجة ماسة لمثل هذه الدراسة، لما لها من أبعاد اقتصادية مختلفة ولدحض الدعاوى التي يرددها الأعداء عن القدس والمقادسة.

وإذا كانت القدس الآن تناشد المخلصين للدفاع عنها في مواجهة عدو شرس يتربص بها الدوائر لمحو هويتها، فإن من أهم واجبات دارسي التراث التاريخي بوجه عام، والمتخصصين منهم بوجه خاص، أن يتصدوا لهذه الأباطيل والمزاعم بإظهار الثوابت التاريخية لإحقاق الحق، وإثبات الشرعية، ودحض الباطل.

تعتمد دراسة أنماط الاستثمار في مدينة بيت المقدس عصر سلاطين المماليك (٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م) بشكل أساسي على مجموعة وثائق الحرم القدسي الشريف، التي عثرت عليها إحدى بنات بيت المقدس ما بين عامي ١٣٩٤و١٣٩٦هـ/ ١٩٧٤و ١٩٧٦م، وتدعى أمل أبو الحاج في بعض

الخزائن الحديدية في المتحف الإسلامي غربي الحرم القدسي الشريف. وكانت تعمل نائبا لمدير المتحف، وتصادف وجود إحدى طالبات الدراسات العليا الكنديات وهي لندا نور ثروب، التي كانت تعد رسالتها للدكتوراه عن السلطان المملوكي سيف الدين قلاوون، فنشرتا نحو ٥٠ وثيقة من هذه الوثائق، وسرعان ما استدعت لندا أستاذها والمشرف عليها البروفيسور دونالد ليتل أستاذ الدراسات الإسلامية بمعهد ماكجل بمدينة مونتريال بكندا، فحضر على رأس بعثة، وقام بفحص هذه المجموعة الوثائقية، وكانت نحو ١٥٠٠ وثيقة مدونة على ورق البرشمان في أكثر من ٨٨٣ ورقة، وصنفها ورقمها وصورها على ميكروفيلم، ترك نسخة منه في المتحف الإسلامي بالقدس، ونسخة أخرى في الجامعة الأردنية، واحتفظ لنفسه بالنسخة الأصلية.

هذه الوثائق تخص البسطاء من الناس من أهل مدينة بيت المقدس بجميع طوائفهم الدينية، وبها معلومات فريدة ونادرة وغزيرة، وتلقي أضواء جديدة على جوانب شتى من الحياة بوجه عام، والنواحي الاقتصادية بوجه خاص، ومعظمها يخص العصر المملوكي الذي كانت فيه القدس ولاية صغيرة

تابعة لدمشق[١] حتى عام ٧٧٧هـ/ ١٣٧٥م حين تحولت إلى نيابة مستقلة ضمن نيابات بلاد الشام[٢].

وهي إن دلت على شيء فإنما تدل على عروبة القدس وعروبة سكانها، وأصولهم العرقية العربية، على عكس ما تردده الدعاية المغرضة، وتدحض مزاعم اليهود استنادا على الواقع التاريخي.

(١) دمشق : مدينة مشهورة ، قصبة الشام ، وهي جنة الشام لحسن عمارتها ، وبقعتها ، وكثرة أشجارها ، ومياهها المتدفقة ، وقيل سميت بذلك لأنهم دمشقوا في بنائها أي أسرعوا ، وقيل هو اسم واضعها ، وهو دمشق بن كنعان ، وقيل غير ذلك.
البغدادي ، "صفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق ت ٧٣٩هـ/١٣٣٨م" ، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م ، ج ٢ ، ص ٥١٤ ؛ أبوالفدا ،، " عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م "، تقويم البلدان ، دار صادر ، بيروت، ص ٢٥٣.

(٢) ابن حجر العسقلاني "شهاب الدين أحمد بن علي، ت ٨٥٢هـ": إنباء الغمر بأنباء العمر، القاهرة، ١٩٦٩م، جـ١، ص١٠٧؛ القلقشندي ، "أبوالعباس أحمد بن علي ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م" ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٩١٤م، ج ٧ ، ص ١٧٠؛ وانظر كذلك، علي السيد علي : القدس في العصر المملوكي، القاهرة، ١٩٨٦م، ص٣٤-٤٠ عن هذا التحول وأسبابه.
وذكر القلقشندي أن المماليك قسموا بلاد الشام من الناحية الإدارية إلى ستة أقسام، سميت نيابات تخضع للحكومة المركزية في القاهرة وتلك النيابات هي : نيابة دمشق ، نيابة حلب ، نيابة طرابلس ، نيابة حماة ، نيابة صفد ، نيابة الكرك.
القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٤ ، ص ٩-١٢ ؛ عاشور عبدالفتاح ، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ص ٣٢٣.

أنماط الاستثمار

السياحة الدينية والاستثمار:

تأتي السياحة الدينية في مقدمة أنماط الاستثمار التي مارسها المقادسة طوال ذلك العصر وساعدتهم عليها ظروف مدينة بيت المقدس، من أن الله تعالى منذ أن خلق آدم لم يبعث نبيا إلا جعل قبلته صخرة بيت المقدس[(١)]. لذا فهي مقدسة عند جميع أبناء الديانات السماوية الثلاثة، وأن أرضها شهدت آثارا لموسى وعيسى ومحمد عليهم جميعا صلوات الله وسلامه[(٢)].

كما يعتبر الحج المسيحي إلى الأرض المقدسة أحد الأسباب الرئيسة في الرحلة إلى فلسطين وما جاورها من الشرق الأدنى لزيارة الأماكن التي ولد فيها المسيح وعاش فيها، واقتصرت الرحلات السياحية هذه في أول الأمر على بيت لحم والقدس والناصرة[(٣)]، ونهر الأردن[(٤)]، ولكن عدد الأماكن أخذ يتزايد، وصارت القصص والروايات تتراكم عن بقاع متعددة في فلسطين لتجعل منها

---

(١) القزويني "زكريا بن محمد بن محمود، ت٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م": آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م، ص١٥٩-١٦٠.

(٢) على السيد علي: القدس في العصر المملوكي، ص٩.

(٣) الناصرة : قرية بينها وبين طبرية ١٣ ميلاً ومنها اشتق اسم النصارى ، لأن المسيح سكنها.

البغدادي ،مراصد الاطلاع ، ج ٣ ، ١٣٤٣.

(٤) نهر الأردن : نهر مهم في فلسطين والأردن ، ينبع من جبل الشيخ في سوريا ، ويجري لمسافة ٦٠ كلم ، يعبر خلالها بحيرة الحولا ، ثم يصب نهائيًا في البحر الميت.

الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٦هـ ، ج ١ ، ص ٤٦٨.

مراكز سياحية متصلة بحياة (السيد المسيح عليه السلام) وتلاميذه وغيرهم من القديسين[(١)].

ومع إنكار آباء الكنيسة الغربية قيمة الحج بادئ الأمر إلا أنهم منذ القرن الخامس الميلادي أقروها، وانتهى الأمر بأن أصبحت الكنيسة تطلب إلى الخطاة من أتباعها أن يكفروا عن خطاياهم بالحج إلى فلسطين، وهكذا بعد أن كان الحج في أشكاله المختلفة لدافع شخصي لتمجيد الله وتقديم الشكر له وطلب المعونة أو وفاء لنذر والحصول على آثار شخصية للقديسين، جعلت الكنيسة منه نظاما أساسه تكليف المرء بالحج إلى أمكنة معينة وزيارتها بشكل خاص لتغفر له خطاياه لسنة واحدة أو سبع سنوات أو لمدى الحياة، وأن هذه الفروض التي سنتها الكنيسة قد أصبحت واضحة المعالم سنة ٤٥١هـ/١٠٥٩م، كما أصبح عدد سني الغفران التي يختص بها كل مكان زاروه من الأماكن المقدسة[(٢)].

وكانت أعداد هؤلاء الحجاج كبيرة، ومن ذلك أن رورخت جمع أسماء ما يزيد عن ١٤٠٠ من الحجاج الألمان المعروفين الذين زاروا البلاد بين سنتي ١٣٠٠م، و١٦٠٠م[(٣)].

ويشير أحد الباحثين إلى أن أعداد الحجاج المسيحيين لبيت المقدس كانت كبيرة جدا، حيث كان يفد إليه العديد من مختلف الجنسيات والطوائف الدينية، من البلدان الغربية، والشرقية[(٤)].

---

(١) زيادة ، نيقولا: رواد الشرق العربي في العصور الوسطى، بيت المقدس، ١٩٤٣م، ص٤١.

(٢) زيادة ، نيقولا ، رواد الشرق العربي، ص٤٢-٤٣ ؛ علي ، السيد علي، القدس في العصر المملوكي، ص٢١٢.

(3) Graham, Stephen: With the Rusian Pilgrims to Jerusalem, London, 1927, p. 81.

(4) Ray John: A collection of Curious Travels and Voyages, London, 1993, Vol.I., p 1331.

ويؤكد باحث آخر على كثرة أعداد هؤلاء الحجاج بقوله: "إن الأعـداد الكبيرة من الحجاج المسيحيين الذين يزورون مدينة بيت المقدس كل عام قد كان لها تأثير كبير في سلوك وتصرفات البدو والسكان العرب، لأنهم عرفوا قيمـة الذهب الأجنبي؛ ولذا فهم يحترمون هؤلاء الأشخاص، ويقدرون هؤلاء الـذين ينفقون عليهم بسخاء نظير ما يقدمون لهم مـن خـدمات، وإن الـسفر خـلال الصحراء في بلاد فلسطين والذي كان يشكل خطـورة كبيـرة علـى هـؤلاء الحجاج، أصبح شيئا عاديا بمرور الوقت لقيام هؤلاء البدو برعايـة الحجـاج وحمايتهم بعد الاتفاق مع مشايخهم ورؤسائهم على المبالغ التـي سيحـصلون عليها"[١].

ويؤكد ذلك الرحالة فيلكس فابري الـذي زار القـدس أواخـر القـرن الخامس عشر الميلادي بقوله: إنه حين وصول هؤلاء الحجاج إلى ميناء يافا[٢]، ويسمع سكان القرى المجاورة بذلك، وكانوا يحضرون كثيرا مـن الحميـر، إذ يقوم الرجل منهم بإحضار سبعة أو ثمانية حمير، وأن السفينة التي ركبها كانت تقل أكثر من مائتي من الحجاج المسيحيين[٣]. هذا بالإضافة إلى ما يشير إليـه الرحالة كازولا في المدة نفسها، من أنه ازدادت رحلات الحجاج المسيحيين من إيطاليا إلى مدينة بيت المقدس اعتبارا من القرن الرابع عشر الميلادي بـشكل

---

(1) Bartlet (W. H): Jerusalem Revisited, London, 1854, pp. 53-54.

(٢) يافا : مدينة على ساحل بحر الشام (البحر الأبيض المتوسط) من أعمال فلسطين ، بـين قيسارية وعكا ، افتتحها صلاح الدين الأيوبي ، ثم استولى عليها الفرنج ، ثم اسـتعادها نور الدين بن بكر بن أيوب وهي ميناء كبير فيه مرسى المراكب الوارد إلـى فلـسطين والمقلعة منها إلى البلدان الأخرى.
البغدادي ، مراصد الاطلاع ، ج٣ ، ص١٤٧١.

(3) Once to Sinai, the further Pilgrims of felix febri, London, 1957, p. 110.

واضح، مما يؤكد اضطراد الزيادة في أعداء هؤلاء الحجاج، بما كان عاملا مساعدا على ازدهار الاستثمار السياحي الديني لسكان المدينة[١].

فإذا أضفنا إلى ذلك ما تشير إليه بعض المراجع من أن رجال الدين الروم كانوا يرغمون أتباعهم على زيارة فلسطين على الأقل مرة واحدة في حياتهم، وكانت أعداد هؤلاء المسيحيين الأرثوذكس تبلغ نحو عشرة آلاف كل سنة لبيت المقدس، وحتى يكونوا عونا لإخوانهم من رجال الدين القائمين بالقدس ومؤسساتهم الدينية هناك لأدركنا مدى كبر تلك الأعداد التي وفدت على المدينة في موسم الحج المسيحي[٢].

هذا وقد اهتمت السلطات المملوكية بزيارة الحجاج المسيحيين للأرض المقدسة في فلسطين لأسباب سياسية واقتصادية، والدعاية لهذه السلطات لدى الغرب الأوربي بأنها تبذل كل جهدها لحمايتهم وتوفير سبل الأمن والأمان لهم، وتعيين الحراس لمرافقتهم في رحلاتهم وحتى عودتهم سالمين[٣]. ورعاية من يريد منهم زيارة سيناء[٤]، بل والسماح لهم بحمل السلاح للدفاع عن أنفسهم خشية قطّاع الطرق أو البدو على أن يسلموها في القاهرة[٥].

---

(1) Margret Newett: Conon Pietro Casala's Pilgrms to Jerusalem in the year 1494, London, 1907, P. 6.

(2)Marie-Joseph: A pilgrimage to Palestine, Egypt and Syria, London 1840, p. 15.

(3) Pero Tafur: Travels and A dventures, London, 1926, P. 59; Margret Newett: Op.cit., P. 292.

(٤) سيناء : اسم موضع بالشام ، يضاف إليه طور سيناء ، وهو الجبل الذي كلم الله عليه موسى بن عمران ، وقد جاء في اسم هذا الموضع سنين.

البغدادي ، مراصد الاطلاع ، ج٢ ، ص ٧٦٨ ؛ ياقوت الحموي ، "شهاب الدين بن عبدالله ت٦٢١هـ / ١٢٢٤هـ" ، معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م ، ج٣ ، ص ٣٠٠.

(5) Felix Falri: Palestine pilgrims text society, London, 1897, vol. VII, pp. 642-646.

ووجه الأهمية في تلك الرعاية كانت الناحية الاقتصادية، فما تجبيه الدولة من رسوم حج وجمارك كان على جانب كبير من الأهمية لدخل المدينة المقدسة، والسلطات المملوكية في الوقت نفسه، هذا بالإضافة إلى ما كان يصحب موسم الحج من انتعاش التعامل التجاري في كل من يافا والرملة(١) وبيت المقدس(٢)، ذلك لأن الحجاج كانوا يقضون في بيت المقدس من ثمانية إلى عشرة أيام، يدفع الواحد منهم ما بين ١٢,٥و ٢٣ قطعة ذهبية من العملات التي سكتها المدن التجارية الإيطالية أمثال فلورنسا(٣).

وشهدت المدينة المقدسة طلبا متزايدا على إمدادات الطعام، والملابس، والمصنوعات الدينية، والهدايا التذكارية المختلفة(٤).

وبسبب هذه السياحة الدينية شهدت المدينة المقدسة رواجا في المشغولات الذهبية والفضية، حيث تمت صناعة الكثير من المشغولات المعدنية التي كانت تلقى إقبالاً كبيرا من زوار المدينة من الحجاج المسيحيين، إذ أصبحت المدينة مركزا مهما لهذه الصناعة، فتم تصنيع العديد من الأشياء التي يقبل عليها الحجاج المسيحيون، وكذلك الأشياء ذات العلاقة بالطقوس الدينية وحفظ الذخائر المقدسة، وكان مركز هذه الصناعات يقع في وسط المدينة

---

(١) الرملة : مدينة بفلسطين ، كانت رباطًا ، للمسلمين، بينها وبيت المقدس اثنا عشر ميلاً. ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٦٩ ؛ أبو الفدا ، تقويم البلدان ، ص ٢٣١.

(٢) زكي ، نعيم: طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى، القاهرة، ١٩٧٣م، ص١٥٢.

(3) Brocquire: The Travels of Bertrandon de la Brocquire to Palestine, London, 1807, pp. 96-97.

(٤) بوس ، أدريان: مدينة بيت المقدس زمن الحرب الصليبية، ترجمة علي السيد علي ، المركز القومي للترجمة، ٢٠١٠م، ص٢٤٩.

المأهول بالحجاج المسيحيين بالقرب من الأماكن المقدسة وأماكن الإقامة، في مكان ليس ببعيد عن كنيسة القيامة(١).

هذا بالإضافة إلى أن كثيرا من أبناء بيت المقدس عملوا أدلاء أو مرشدين سياحيين أو مترجمين لمصاحبة هؤلاء الحجاج، وحصلوا على مبالغ كبيرة نظير تقديمهم لخدماتهم من إرشاد، كما أنهم حصلوا على نسبة عالية قد تصل إلى عشرين بالمائة من التجار نظير ما يشتريه منهم هؤلاء الحجاج عمولة لهم. كذلك كان هؤلاء الأدلاء والمرشدين والمترجمين كانوا دائماً محل ثقة الكثيرين من الحجاج، وبخاصة الذين يكثر ترددهم على بيت المقدس، كما كانوا على مستوى من الكفاءة والمقدرة فلم يبخل عليهم الحجاج بالمال(٢).

---

(١) بوس ، أدريان: مدينة بيت المقدس، ص٢٨٧. وذكر بعض المؤرخين أن كنيسة القيامة بنتها الملكة هيلانة أم الملك قسطنطين في الموقع الذي اكتشفت فيه الصليب الذي صلب عليه عيسى عليه السلام كما يزعم النصارى ، وتأتي هذه الكنيسة في مقدمة الأماكن المقدسة التي حظيت بعناية كل من يرد إلى المدينة لزيارتها من المسيحيين، وتعد عمارتها من العجائب، وبها المقبرة التي يسمونها القيامة وذلك أنهم يعتقدون أن المسيح قامت قيامته في ذلك الموضع ، وتسمى أيضًا قملمة وذلك يرجع إلى أن المكان الذي أقيمت به كان مزبلة للبلد، كذلك كان موضع تقطع فيه أيدي المجرمين ويصلب به اللصوص.

ابن الأثير ، " أبوالحسن علي بن محمد ت ٦٣٠هـ / ١٢٩٢م " ، الكامل في التاريخ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ج٢ ، ص ٥١ ؛ ناصر خسرو ت ٤٨١هـ /١٠٨٨م ، سفر نامه ، ترجمة يحيى الخشاب ، نقولا زيادة ، دار لبنان للطباعة ، بيروت ، ١٩٨٧م ، ص ٢٧ – ٢٨ ؛ الهروي ،" أبو الحسن علي بن أبي بكر ت ٦١١هـ / ١٢١٤م " ، كتاب الإشارات إلى معرفة الزيارات ، تحقيق جانين سورديل– طومين ، دمشق ، ١٩٥٣م، ص ٢٨.

(2) Murray: Syria and Palestine, London, 1858, Vol I, pp. LXV intro.

وتجب الإشارة إلى أن الحجاج المسيحيين كانوا شبه ملزمين بدفع كثير من المبالغ على هيئة هبات في كثير من الأماكن التي زاروها في الأراضي المقدسة، في بيت المقدس، وبيت لحم[١]، والخليل وغيرها، إذ كان عليهم إرضاء ناظر كنيسة القيامة، والحراس الذين يأتمرون بأمره، والذين كانوا يحصلون على كثير من الإتاوات من الحجاج، والتي كانت موضع شكوى الحجاج باستمرار[٢].

وإن كثرة تلك المبالغ تعبر عن العائد المالي من استثمارات السياحة الدينية، كما أنها هي التي دفعت بعض الحجاج إلى القول بأن المسلمين كانوا يحصلون على كثير من الأتعاب والهبات والأموال من الحجاج المسيحيين، وهي نفسها التي دفعت الرحالة كازولا، الذي زار البلاد أواخر القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي إلى القول: "إنه كان على كل حاج من الحجاج أن يحمل معه ثلاث حقائب، حقيبة من الصبر، وحقيبة من النقود، وحقيبة من الإيمان[٣].

وهي التي دفعت بيرو طافور من قبله إلى القول إنه كان على كل حاج أن يدفع بعضا من المبالغ القليلة في الأماكن المقدسة التي يرغب أن يزورها أثناء حجه[٤].

---

(١) بيت لحم : بلد قرب البيت المقدس ، على بعد فرسخ من جهة جبرين ، فيه مكان مهد عيسى بن مريم عليه السلام.
ابن بطوطة ،" أبوعبدالله محمد بن إبراهيم ت ٧٧٩هـ /١٣٧٧م " ، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأمصار ، تحقيق عبدالهادي التازي ، الرباط ، ١٩٩٧م ، ص ٢٤٤ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٥٢١.

(٢) دراج ، أحمد: وثائق دير صهيون بالقدس الشريف، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٨م، ص٧٨.

(3) Marget Newett: op.cit., p. 225.

(4) The travels .., p. 56.

كما يروي الأب سوريانو – رئيس طائفة الفرنسيسكان– الذي عاش في بيت المقدس مدة طويلة – أن تلك الرسوم كانت تدفع موجبًا للسلطان، ومترجم السلطان، وحارس باب كنيسة القيامة، وفي نزل وحارس يافا، وحاكم الرملـــة، ومجموع هذه المصاريف كانت تبلغ ١٣,٥ دوكات ذهبية، أي ما كـــان يعـــادل ٢٩٧ درهما فضيا آنذاك. غير ما كان يتم دفعه في الأماكن الـــستة الأخـــرى وهي: بيت لحم، وبيسان[١]، وعين كارم[٢]، وجبل الزيتون[٣]، وقبر العذارء[٤]، والبرك الموجودة في بيت المقدس[٥].

أما بالنسبة للحجاج الذين ينوون زيارة سيناء، فقـــد كـــان علـــيهم أن يستعدوا لتلك الرحلة الشاقة، وإعداد ما يلزمهم في أثناءها من طعام وشـــراب، فيتزودون من بيت المقدس بكل ما يلزمهم من نبيذ، ولحم مجفـــف، وأســـماك

---

(١) بيسان : مدينة بالأردن ، ويقال هي لسان الأرض بين حوران وفلسطين.
البغدادي ، مراصد الاطلاع ، ج١ ، ص ٢٤١.

(٢) عين كارم : من الأماكن المقدسة في القدس الشريف ، وهو المكان الذي ولد فيه النبي يحيى بن زكريا عليهما السلام ، ويطلق النصارى على النبي يحيى بن زكريا عليهما السلام القديس يوحنا المعمداني ، وهو ابن خالة المسيح عليه السلام.
الموسوعة ،ج ١٧ ، ص ٢٨٦ ؛ هنري كتن ، القدس ، ترجمة إبـــراهيم الراهـــي ، دار لبنـــان للدراسات والنشر ، بيروت، ١٩٩٧م ، ص ١٤٨.

(٣) جبل الزيتون : هو جبل طور زيتا ، علم مرتحل بالقرب من رأس عين ، عند قنطـــرة خابور شرقي القدس ، يفصل بينهما وادي سلوان ، وعلى هذا الجبل عقد كتاب الـــصلح بين أمير المؤمنين عمر بن الخطاب –رضي الله عنه – وأهل بيت المقـــدس ، وهـــو الجبل الذي صعد فيه عيسى بن مريم حين رفعه الله إلى السماء، وفيه قبر مريم ، وفيه بعض قبور الأنبياء والصحابة.
ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٤٧ – ٤٨ ؛ الدباغ ، مـــصطفى مـــراد ، بلادنا فلسطين في بيت المقدس ، بيروت ، دار الطليعة ، ١٣٩٥هـــ/١٩٧٥م ، ج ٦ ، ص ٢٢٨.

(٤) قبر العذراء : وهو في كنيسة داخل جبل طور زيتا ، وهو شرق بيت المقدس ومـــشرف عليه. الحنبلي ، مجير الدين ، الأنس الجليل ، ج٢ ، ص ٢١٠ –٢١١.

(5) Francesco Souriano: Treatise on the Holy Land, Jerusalem, 1948, p. 56.

مجففة، وخبز، وفاكهة، كما أنهم كانوا يتزودون من مدينة غزة[1] بالبسكويت اللازم لهم طوال تلك الرحلة[2].

الزراعة والاستثمار:

في ذلك عصر كان الإنتاج الزراعي هو المسيطر في بلدان العالم القديم شرقا وغربا، لذا فإن الاستثمار الزراعي كان على درجة كبيرة من الأهمية، وتعكس لنا مجموعة وثائق الحرم القدسي الشريف أهمية الاستثمار في هذا المجال. فالوثيقة رقم ٦٤٠ بتاريخ ٧ من ذي القعدة ٧٩٦هـ/ ١٣٩٣م، تذكر أن ثلاثة أشخاص من قرية بيت سوسين التابعة للد "قد قاموا باستئجار جميع أراضي بيت المال الموجودة في الناحية المذكورة مدة عشر سنين كاملات عربيات هلاليات متواليات الشهور والأعوام. وأن الأجرة عن كل سنة من المدة المعينة أعلاه من الدراهم معاملة دمشق المحروسة ألف درهم وتسعمائة درهم"[3].

ولم تكن أراضي بيت المال فقط هي التي كان يتم استئجارها ، إذ تشير الوثيقة رقم ٣٤٤ المؤرخة ٢٥ شوال سنة ٧٩٤هـ/ ١٣٩١م إلى أن شخصا من أبناء بيت المقدس يدعى صدر الدين عبد الرحيم المعري "قد قام بمفرده باستئجار ثلاث قطع زراعية في أرض البقعة ظاهر القدس الشريف.." وتحدد الوثيقة مدة الإيجار بأنها كانت مدة ثلاثين سنة من سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م، وأن

(١) غزة : مدينة في أقصى الشام من ناحية مصر ، وهي من نواحي فلسطين ، غربي عسقلان. ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٢٠٢.

(2) Thomas Wright: Early Travels in Palestine, London, 1886, pp. 96-97.

(٣) العسلي ، كامل جميل: وثائق مقدسية تاريخية، عمان، ١٩٨٥م، جـ٢، ص٦٢.

قيمة الإيجار لكل سنة كانت ستة وسبعين درهما)، بما يفيد أن أراضي الوقف كان يتم استئجارها كذلك بهدف استثمارها[١].

ومن أنواع الاستثمار الزراعي شراء غراس الأرض، أي المحاصيل الزراعية التي تنتجها، وبخاصة الثمار. يؤكد ذلك كثرة الوثائق الخاصة بهذا النوع من الاستثمار، سواءً أكان غراس الزيتون، أم العنب، أم التين، أم التفاح، أم المشمش وغيرها من أنواع الفاكهة الأخرى، وهي التي جاء ذكرها في الوثائق أرقام ٣١٨، ٣٢٤،٣٢٠، ٣٥٤، ٣٨٤، ٦٢٩ من مجموعة وثائق الحرم القدسي الشريف، سواء كانت الغراس في الأراضي الزراعية المخصصة للبساتين على نطاق واسع، أم كانت في الحدائق الخاصة والملحقة ببعض الدور، وكان يطلق على الواحدة منها اسم (حاكورة)، وجمعها (حواكير) وقد تراوحت المبالغ التي تم دفعها فيها ما بين ٥٠ درهما، و٥٠٠ درهم[٢].

ووجه الأهمية في هذه الوثائق سالفة الذكر أنها تؤكد أن الاستثمار في هذا النوع كان مفيدا وعاليا، فالوثيقة رقم ٣٢٣ المؤرخة ١٣ صفر سنة ٧٧٦هـ/ ٢٦ يوليو ١٣٧٤م جاء فيها أن الحاج محمد بن محمد بن علي المقدسي اشترى غراسا عنبًا، وتينًا، وتفاحًا في الأرض الواقعة في أراضي بني سعد خارج بيت المقدس بمبلغ ٣٠٨ دراهمٍ، وعلى ظهر تلك الوثيقة جاء ثمن بيعه لهذه الغراس بمبلغ ٣٣٥ درهما، أي أنه ربح فيها ٢٧ درهما[٣].

بينما تذكر الوثيقة رقم ٣٢٨ المؤرخة غرة رجب سنة٧٩٧هـ/ ٢٢ أبريل ١٣٩٥م أن شخصا من بيت المقدس قد اشترى غراسا بمبلغ ٨٠ درهما

---

(١) العسلي ، كامل جميل: وثائق مقدسية تاريخية، جـ٢، ص٢٢.

(2) Donald P. Little: A catalogue of the Islamic Documents from Al – Haram As - Saif in Jerus alem, Beirut, 1984, pp. 279-353 .

(3) **Ibid, pp. 323,324.**

وباعه بمبلغ ١١٥ درهما، أي أنه ربح ٣٥ درهما[1]. وتذكر الوثيقة رقم ٣٥٤ المؤرخة غرة شوال سنة ٧٧١هـ/ ٢٨ أبريل ١٣٧٠م، أن شخصا يدعى الشيخ موسى قد اشترى غراسا بمبلغ ٥٠٠ درهمٍ ثم باعه بمبلغ ٩٥٠ درهما، أي أنه ربح فيه ٤٥٠ درهما[2].

وجاء في الوثيقة رقم ٦٥٨ بتاريخ ٢٨ المحرم ٧٨٥هـ/ ٢ أبريل سنة ١٣٨٣م أن محمدا بن أحمد بن خلف الخياط المقيم في القدس يشتري غراسا كان عنبًا وتينًا من شخص يدعى محمد بن أحمد المنبجي المقيم بالقدس بمبلغ ٥٠ درهما، ثم باعه بمبلغ ١١٠ دراهم، أي أنه ربح فيه ٦٠ درهما[3].

وتجدر الإشارة إلى أن عملية الاستثمار في الغراس لم تكن مقصورة على المسلمين وحدهم، بل شاركهم فيها أبناء أهل الذمة من سكان بيت المقدس، فقد جاء في الوثيقة رقم ٣٢٧ والمؤرخة غرة شعبان سنة ٧٨٧هـ/ ٧ سبتمبر ١٣٨٥م، أن شخصا يهوديا يدعى موسى بن صموئيل بن موسى اليهودي المقيم في بيت المقدس قد اشتري كل الغراس (العنب والتين) في أرض خارج بيت المقدس بمبلغ ٢٠٠ درهمٍ، إلا أنها لم تذكر المبلغ الذي باع به هذا الغراس[4].

الاستثمار في تلك الغراس لم يكن مقصورا على التجار، فقد جاء في الوثيقة رقم ٣٦٦ المؤرخة ٢٢ جمادى الآخرة ٧٨٩هـ/ ١٠ يوليو ١٣٨٧م، أن رئيس المؤذنين في المسجد الأقصى قد اشترى غراسا في كرم في أرض

(1) Ibid, p. 224.
(2) Ibid, p. 287.
(3) Ibid, pp. 294-295.
(4) Ibid, p. 285.

السواد[1] خارج بيت المقدس من سالم بن خليل بن محمد الجمال المقيم في بيت المقدس بمبلغ ٤٢٠ درهما دمشقيا[2].

إلا أنَّ الباحث يرجح أن شراء غراس أراضي الأوقاف الإسلامية لم يقم به سوى المسلمين، ومثال ذلك ما جاء في الوثيقة رقم ٣٢٦ المؤرخة سلخ شهر ذي القعدة الحرام ٧٥٨هـ/ ١٣٥٦م، إذ قام أحد أبناء بيت المقدس، يدعى محمد بن محمد بن عطا الله الزيدي الآدمي بشراء "غراس الكرم الكائن بأرض السواد بظاهر القدس الشريف والجارية في أوقاف المسجد الأقصى" والغراس كان تيناً وعنبًا وتفاحًا، وذلك بمبلغ ثمانين درهمًا من الدراهم الوازنة معاملة الشام[3].

التجارة والاستثمار:

إن الدارس لتاريخ بيت المقدس عصر سلاطين المماليك لابد وأن يلحظ الارتباط الوثيق بين الإنتاج الزراعي الوفير، وبين الحالة التجارية والصناعية والسياحية والأمنية، وهذا ما يجمع عليه كثير من المؤرخين[4]. وأدى ذلك الارتباط بدوره إلى إيجاد فرص الاستثمار من خلال اشتغال المقادسة بالتجارة لتصريف منتجات بلادهم وتحقيق الاستثمار الأمثل عن طريق التجارة.

---

(١) أرض السواد : أو إقليم السواد يقع في نواحي البلقاء ، سميت بذلك لسواد حجارتها. ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٧٢.

(2) Ibid, p. 288.

(٣) صالحية ، محمد عيسى: "من وثائق الحرم القدسي الشريف المملوكية" حوليات كلية الآداب بالكويت، الحولية السادسة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص ٥٨-٦١.

(٤) سبط ابن الجوزي "أبو محمد يوسف، ت ٦٥٤هـ": مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، طبع حيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م، جـ٨، ص٢٥٤؛ علي السيد علي: القدس في العصر المملوكي، ص١٢٤.

كانت أسواق بيت المقدس تعد من أهم المراكز التجارية في ذلك العصر لما شهدته البلاد من نمو سكاني كبير. ووصف الرحالة كازولا أسواق بيت المقدس قائلا: ومما أدهشني حقا مشاهدة تلك الأسواق، فهي طويلة، في هيأة شوارع مسقوفة تمتد إلى مسافات بعيدة، وعلى الجانبين ترى الدكاكين مليئة بالسلع والبضائع المختلفة، والتي كان الناس يقبلون على شرائها(١) وأن هذه الدكاكين كانت تستخدم في عمليات المبادلات التجارية وأعمال البيع والشراء، إلى جانب استخدام بعضها مراكز للصناعة مثل صناعة الغزل والدباغة والصباغة وصناعة الأحذية والملابس، والصاغة والصابون وغيرها من الصناعات(٢).

وإلى جانب تلك الأسواق كانت هناك مؤسسات تجارية كانت تؤدي مهمة الأسواق أيضا، وهي القيساريات، والخانات، والرباع، والفنادق، تلك المؤسسات كانت إلى جانب كونها تقوم بمهمة الأسواق من حيث البيع والشراء، فقد كانت تقوم بمهام النزل وتأمين الإقامة للواردين من التجار وحفظ أموالهم، كما أنها أدت مهمة البيع بالجملة بجانب البيع بالتجزئة(٣).

على أن وجه الأهمية يأتي فيما تلقيه مجموعة وثائق الحرم القدسي الشريف من أضواء جديدة على بعض أنماط الاستثمار التجاري في تكوين الشركات في ذلك العصر، فالوثيقة رقم ٤٨ بتاريخ ١٢ صفر ٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م تفيد أن شخصين من قرية نحالين الواقعة شمالي الخليل من عمل

---

(1) Margret Newett: Op.cit., P. 251.

(٢) زيادة ، نقولا ، رواد الشرق العربي، ص٢٤٩؛ الإمام ، رشاد: مدينة القدس في العصر الوسيط، تونس، ١٩٧٦م، ص١٥٠.

(٣) الحنبلي "مجيرالدين أبواليمن، ت٩٢٧هـ": الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، القاهرة، ١٢٨٣هـ، جـ٢، ص٤٠٣؛ زكي ، نعيم ، طرق التجارة الدولية، ص٢٨٣-٢٨٤.

القدس الشريف قد كونا فيما بينهما شركة مفاوضة، أي أن يفوض كل واحد من الشريكين إلى صاحبه التصرف في ماله في غيبته وحضوره، وربما تساويا في رأس المال[1]. وذلك للاتجار في المحاصيل الزراعية وبيعها، وأنهما في التاريخ المذكور وهو تاريخ الوثيقة قاما بشراء المحاصيل الزراعية الخاصة بالأرض الموقوفة على ديوان سيدنا الخليل - عليه السلام - في القرية المذكورة عاليه بمبلغ ستة آلاف درهم، وتعهدا بدفع ذلك المبلغ بعد سبعة أشهر من تاريخ الشراء المذكور وهو تاريخ الوثيقة كما أسلفنا، وفي ذيل الوثيقة جاء توقيع الشهود على ذلك[2].

تلك الوثيقة وإن كانت تفيد قيام نوع من الشركات بين شخصين من أبناء بيت المقدس، إلا أنها توضح أن أبناء المدينة المقدسة قد عرفوا الاستثمار التجاري عن طريق الشركات، كما أنها توضح إحدى طرق السداد التي كانت سائدة آنذاك.

كما أن الوثيقة رقم ٤٥٩ المؤرخة في ١٨ المحرم ٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م تؤكد قيام نوع آخر من الشركات المتضامنة بشكل واضح تماما، إذ جاء فيها أن اثنين من قرية عين عريك غرب رام الله التابعة للقدس، وهما عبد الله ابن محمد بن سلمان، وإسماعيل بن أحمد بن عمر قد كونا فيما بينهما شركة لشراء المحاصيل الزراعية بالقرية المذكورة في وقف الحرم القدسي الشريف. تلك المحاصيل كانت عنبًا، ولوزًا، وتينًا، وأنهما اشتريا هذه المحاصيل بمبلغ ٤١٠ دراهم بينهما بالسوية وأن كل واحد منهما "ضامن وكفيل لما في ذمة صاحبه

---

(١) ابن رشد "محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد، ت ٥٩٥هـ /١١٩٨م ": بداية المجتهد ونهاية المقتصد، بيروت، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م، ص١٢٤؛ السبكي "تاج الدين عبد الوهاب، ت ٧٧١هـ١٣٦٩م": معيد النعم ومبيد النقم، مصر، ١٩٤٨م، ص٢٦.

(٢) العسلي ، كامل جميل: وثائق مقدسية، جـ١، ص٢٥٨.

بالحصة له في ذلك وفي الأداء عنه والرجوع عليه ضمانا صحيحا شرعيا". وفي ذيل الوثيقة توقيع شاهدين(١).

جاء في الوثيقة رقم ٣٤٨ بتاريخ ١٧ ذي الحجة ٧٦٠هـ/ ١٣٥٨م ما يفيد أن ثلاثة أشخاص من قرية عين عريك غرب رام الله التابعة للقدس قد كونوا شركة متضامنة، وقاموا بشراء غراس أرض من قريتهم في شكل عنب وتين وتفاح، ومشمش، وجوز. تلك القرية كانت موقوفة على الحرم القدسي الشريف، وكتبوا على أنفسهم إقرارا بدفع المبلغ المطلوب وهو تسعمائة وخمسين درهمًا بعد ثلاثة أشهر "وأقر كل واحد منهم أنه كفل المبلغ المذكور عن صاحبه المقر له بالذمة له في ذلك، وفي الأداء عنه كفالة صحيحة شرعية". وفي ذيل الوثيقة توقيع ثلاثة من الشهود على ذلك(٢).

الوثيقة رقم ٣٤٦ بتاريخ ٢ جمادى الأولى ٧٠٦هـ/ ١٣٠٦م وهي وثيقة قبض مبلغ من المال ثمن وقود للحرم الشريف والصخرة المشرفة تفيد أن ثلاثة من أبناء قرية عين يبرود من أعمال القدس على بعد ٧ كيلو مترات شمال شرقي رام الله، وهم عيسى بن فارس بن جرير، وصالح بن شحدة بن دريد، وموسى بن قاسم بن إسماعيل، قد كونوا فيما بينهم شركة متضامنة، قامت بتوريد الزيت للحرم القدسي الشريف، ومقداره أربعة قناطير بمبلغ ١٤٠٠ درهم، أي أنهم باعوا قنطار الزيت الواحد بمبلغ ٣٥٠ درهمًا، وفي تلك الوثيقة توقيع الشهود(٣).

---

(١) العسلي ، كامل جميل: وثائق مقدسية ، جـ٢، ص٩٥.
(٢) العسلي ، كامل جميل: وثائق مقدسية ، جـ١، ص٢٥٩.
(٣) العسلي ، كامل جميل: وثائق مقدسية ، جـ٢، ص٩٩.

وإذا كنا قد رأينا في الوثائق السابقة نوعين من الشركات وهما الشركة المفاوضة، والشركة المتضامنة، فإن الوثيقة رقم ٢٧٦ المؤرخة في ١٥ رمضان ٧٩٥هـ/ ١٣٩٢م ترجح أن بعض تجار بيت المقدس قد كونوا فيما بينهم إحدى شركات المقارضة، فقد جاء فيها أنه حصل الوقوف على رجل ضعيف يدعى محمد بن يعقوب بن محمد الفندقومي، نسبة إلى قرية الفندقومية التي تبعد عن جنين ٢٢ كيلو مترًا إلى الجنوب الغربي، التاجر بالقدس الشريف، وذكر أنه في ذمته لمحمود بن يونس التاجر مبلغ ستين درهمًا نصفها ثلاثون درهمًا ، وفي ذمته أيضا لعبد الرحمن بن على المصري القطان مبلغ ثلاثين درهما، وفي ذمته لأحمد النيني ستون درهما، بما يرجح لدى الباحث أن هذه المبالغ كانت لتكوين شركة بينهم، يؤكد ذلك ما جاء في الوثيقة من نص على أمواله التي أقرضها لأربعة أشخاص، وطريقة تحصيله لهذه المبالغ سواء أكانت شهريا أم أسبوعيا أم كل يوم جمعة، وفي ذيل الوثيقة توقيع شاهدين على تلك المعاملات.

فلو كانت المبالغ الثلاثة الأولى قد حصل منهم عليها على سبيل الدين لذكر ذلك، ولذكر طريقته للسداد، كما ذكر في حديثه عن أمواله إذ قال: "إنه له عند سليمان بن سمعان المتشرف مبلغ ثلاثين درهما مقسطة في كل أسبوع درهم، وله أيضا عند محمد بن أحمد بن أبي ريشة مبلغ أربعين درهما نصفها عشرون درهما مقسطة في كل شهر ثلاثة دراهم، وله أيضا عند يوسف القصرجي خمسة وسبعون درهما، في كل جمعة درهمان، وله عند محمد ويعرف بابن الشحادة ثلاثون درهما مقسطة في كل أسبوع درهم واحد"(١).

ومع ما أشارت إليه الوثائق السابقة من وجود الأنواع السالفة من الشركات، فليس معنى هذا أن تجار بيت المقدس كانوا قد اقتصروا عليها، ومن

(١) العسلي ، كامل جميل: وثائق مقدسية ، ج٢، ص٢٦٥-٢٦٦.

المرجح وجود أنواع أخرى، مثل الشركات العائلية، أو الشركات المهنية، والوكالات التجارية وغيرها. وهنا ينبغي أن نؤكد أن لدى الباحث وثيقة طريفة وهي الوثيقة رقم ٦٢٦ المؤرخة في ٢٦ جمادى الأولى سنة٧٩٦هـ/ ١٣٩٣م، وهي في شكل تعهد من ثلاثة من اليهود المقيمين بالقدس بعدم مزاولة مهنة الجزارة "القصابة"، وإلا دفعوا غرامة مقدارها عشرة آلاف درهم. هذه الوثيقة فريدة في مكافحة الغش التجاري، إذ تؤكد على أنه تحتم على كل تاجر أن يسلك في أعماله التجارية بدين وشرف، فلا يرتكب غشا ولا تدليسا ولا احتيالا ولا عبثا ولا غرارا. وهذه الوثيقة تعتبر أول دليل على وجود نظام مكافحة الغش التجاري في مدينة بيت المقدس في العصر المملوكي، وأخذ المخالفين بالشدة برفع الحد الأقصى للعقوبة، واستحداث بعض العقوبات الرادعة في ضوء مقتضيات المصلحة العامة. ومن المؤكد أن مكافحة الغش التجاري كانت تسند من قاضي قضاة القدس الشافعي إلى المحتسب وأعوانه، والذي أوكل إليهم نظام مكافحة الغش التجاري بسرعة ضبط الأسواق، وضبط الفاسد من السلع، والتصرف فيها؛ ذلك أن ثلاثة من اليهود كانوا يشتغلون بمهنة القصابة (أي الجزارة) وأخلوا بشروط المهنة، لذا طلبوا عند القاضي وتعهدوا "بعدم ذبح لا ضأن ولا ماعز ولا بقر ولا جمال، لا لهم ولا للمسلمين" وإن خالفوا تعهدهم عوقبوا، ودفعوا عشرة آلاف درهم كغرامة(١).

الصناعة والاستثمار:

ومع اعترافنا بقلة المصادر والوثائق الخاصة بالصناعة، إلا أن الباحث يستطيع القول بأن الصناعة كانت مجالا فسيحا للاستثمار، مستندًا في ذلك إلى ما جاء في الوثيقة رقم ١٩٨ المؤرخة في ١٠ جمادى الآخرة سنة٧٨٦هـ/ ١٣٧٤م. وهي وثيقة خاصة بصناعة الخبز، فقد ورد فيها بعد البسملة ما نصه:

(١) صالحية ، محمد عيسى: من وثائق الحرم القدسي الشريف، ص٧٧.

" أقر علي بن أبي بكر الطحان بالقدس الشريف بن خراس إقرارا شرعيا في صحة منه وسلامة وجواز أمر أن عليه وقبله وفي ذمته بحق شرعي لأبي بكر بن على بن محمد الخباز بالقدس الشريف من الدراهم الفضة الجيدة معاملة يومئذ بالشام المحروس مائتي درهم، نصفها مائة درهم حالة عليه يطالبه بها متى شاء، وحيث شاء. وأقر عليه عاشر شهر جمادى الآخرة سنة ست وثمانين وسبع مئة" وفي ذيل تلك الوثيقة توقيع اثنين من الشهود(١).

ففي الوثيقة رقم ١٨٦ بتاريخ ١٢ ربيع الآخر سنة٧٨٩هـ/ ١٣٨٧م، وهي خاصة بصناعة الحصير، جاء بها بعد البسملة أنه "أقر أحمد ابن صلاح بن إبراهيم الحصري الخليلي والحاج أحمد بن محمد بن على الحصري المصري ويعقوب بن إبراهيم بن إسحاق الخليلي الحصري إقرارا صحيحا شرعيا في صحة منهم، وسلامة، وجواز أمر أن عليهم وفي ذمتهم بحق صحيح شرعي لأحمد بن علي بن محمود القفاص المقيم بالقدس الشريف من الدراهم الفضةالجيدة معاملة الشام المحروس ماية درهم وثمانين درهما نصفها تسعون درهما دينا ثابتا وحقا لازما مقسطا عليهم في سلخ كل شهر يمضي من تاريخه ثلاثون درهما"(٢). وفي آخر الوثيقة توقيع ثلاثة من الشهود.

المرأة واستثماراتها:

هذه المجموعة من الوثائق تخص أهل بيت المقدس بجميع طوائفهم، وتعكس لنا حقيقة وهي أن المرأة المقدسية كانت لها ذمتها المالية الخاصة بها، والمستقلة تماما عن الرجل مهما كانت علاقتها به. يؤكد ذلك ما جاء في الوثيقة رقم ٣٨٢ بتاريخ ١٧ رجب ٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م، وهي خاصة بامرأة تدعى

(١) العسلي ، كامل جميل: وثائق مقدسية، جـ٢، ص٨٩.

(٢) العسلي ، كامل جميل: وثائق مقدسية ، جـ٢، ص٩٢.

الحاجة الجليلة شيرين بنت عبد الله، زوج برهان الدين الناصري، قارئ الحديث النبوي الشريف من "أنها قد اشترت بمالها لنفسها، دون غيرها، من الحاجة المصونة بيرم بنت عبد الله، زوج الصدر الأجل، زين الدين خضر الجارية التكرورية الجنس بثمن مبلغه من الدراهم الفضة معاملة الشام المحروس أربعمائة درهم وثمانون نصفها مائتا درهم وأربعون" وعبارة بمالها لنفسها دون غيرها توضح استقلال ذمتها المالية(١). كما أن الوثيقة في حد ذاتها تبين أن هذه العملية كانت استثمارا جيدا، إذ أن هذه الجارية قد بيعت بعد ذلك بمبلغ ٥٥٠ درهما، أي أن الربح فيها كان ٧٠ درهما، وأن الاستثمار في بيع العبيد والجواري السود كان استثمارا جيدا(٢). وفي حالات مشابهة كانت أسعار شراء الجواري التي قامت بها بعض النساء المقدسيات تراوحت بين ٤٠٠، ٤٩٠، ٥٥٠ درهما، بينما أسعار البيع تراوحت ما بين ٤٥٠، ٥٦٠، ٦٥٠ درهما، أي بنسبة ربح ٥,١٢%، ٦,١٤%، ٤,١٥%، على التوالي، بل وصل الربح أحيانا إلى ما بين ٢٥% ، ٣٢%، وبذلك كان هذا النوع من الاستثمار يحقق عائدا مرتفعا إذا تمت المقارنة بين وثيقة أو (مكتوب) الشراء، ووثيقة أو (مكتوب) البيع(٣).

من الأضواء الجديدة والتي تلقيها هذه الوثائق عن استثمارات المرأة، أنها كانت تستثمر بعض أموالها في شراء العقارات من دور، ودكاكين، وغيرها، ثم تقوم إما ببيعها أو تأجيرها للغير نظير أجرة تحصل عليها شهريا لنفسها، وهذا ما تذكره لنا الوثيقة رقم ٤٧٩ بتاريخ ٧ رمضان ٧٩٦هـ/ ٦ يوليو ١٣٩٤م، حيث جاء فيها ذكر إحدى الدور التي كانت تمتلكها إحدى النساء

---

(١) العسلي ، كامل جميل: وثائق مقدسية ، جـ١، ص٣٢٠.

(٢) العسلي ، كامل جميل: وثائق مقدسية ، جـ٢، ص١٥٢.

(3) Donald P. Little: Op.cit., p. 293.

في إحدى أحياء مدينة بيت المقدس في الجهة الغربية من المسجد الأقصى، تلك الدار التي عرفت باسم صاحبتها وسميت دار بنت السراج المغربية[١].

الوثيقة رقم ٤٣ المؤرخة ٤ رمضان ٧٨٥هـ/ ٣١ أكتوبر ١٣٨٢م تذكر أن: "خديجة بنت الحاج أحمد بن عبد العزيز المشرقي- أي من حارة المشارقة بالقدس- زوجة الحاج علي بن أبي طالب الطباخ المشرقي تشتري من أخيها عمارة البيت الذي خلفه والدها، الكائن في حارة باب حطة، بمبلغ ٢٥٠ درهما دمشقيا"[٢].

والوثيقة رقم ٣٣٣ المؤرخة ١٥ صفر ٧٧٧هـ/ ١٦ يوليو ١٣٧٥م، تذكر أن الحاج محمد ابن المرحوم الحاج أحمد بن علي المقيم في القدس "يشتري دارا مجاورا لطاحون الباسطي من الحاجة طيبة بنت الحاج محمد بن عبد الله المصرية، زوجة الحاج أبي بكر بن محمد بن جعفر المصري بمبلغ ٤٥٠ درهما"[٣].

كذلك فإن الوثيقة رقم ٣٧٢ المؤرخة ٢٩ رمضان ٧٧١هـ/ ٢٦ أبريل ١٣٧٠م تذكر أن "الشيخ الحسن بن إبراهيم بن الشيخ برهان الدين إبراهيم بن أبي بكر بن غانم المقدسي يشتري قيراطا ونصف قيراط من حاكورة "حديقة" بمبلغ ٣٠ درهما من ست الكل بنت التاج عمر بن جمال الدين"[٤].

وجاء في الوثيقة رقم ٦١٩ المؤرخة ١٥ ذي القعدة ٧٨٠هـ/ ٣ مارس ١٣٧٩م أن شخصا يدعى "محمد بن أحمد المقيم بالقدس اشترى دارا من

(1) Ibid: Op.cit., pp. 123, 291.
(2) Ibid: Op.cit., p. 286.
(3) Ibid: Op.cti., p.286.
(4) Ibid: Op.cit., p. 293.

مريم بنت أبي بكر بن عبد الله بن حسن الرملية التركمانية بمبلغ ٨٢٠ درهما"[١].

من الاستثمارات التي قامت بها المرأة في سبيل الله تعالى وابتغاء ثوابه عملا بقوله تعالى "من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة"[٢]. وبقوله تعالى "من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة وله أجر كريم"[٣]. قيام المرأة بالإقراض، وهو ما عرف تحت اسم القرض الشرعي أو القرض الحسن، فهي تقرض المال لمن يطلبه منها، إلا أنها كانت تكتب وثيقة أو إيصالا بالمبلغ تسمى "حجة" لضمان حقها، فقد تم العثور على الكثير من هذه الحجج، نذكر منها حجة بمقتضاها اقترض شخص يدعى حسن بن علي بن جمعة من إحدى النساء تدعى الحرمة حياة بنت بدر الدين بن أبي بكر مبلغ أربعمائة درهم، وحجة أخرى على امرأة تدعى عائشة بنت أينبك باسم الحاجة خاتون بنت عمر بمبلغ أربعين درهما. وبعبارة أخرى فإن المرأة المقدسية كانت تقرض من تشاء بعد أخذها ما يضمن لها حقها، سواء من الرجال أم من النساء[٤].

وتنبغي الإشارة إلى أن المعادن من ذهب وفضة ونحاس، وكذلك الأحجار الكريمة كانت أسعارها في ارتفاع مستمر، حتى إن البسطاء والعامة حرصوا على اقتنائها، لا بقصد استخدامها في الزينة فحسب، بل لأنها كانت تمثل استثمارا وشكلا من أشكال تكديس الثروة، والدليل على ذلك أن وثائق

---

(1) Loc. Cit.,

(٢) سورة البقرة، آية ٢٤٥.

(٣) سورة الحديد، آية ١١.

(٤) العسلي ، كامل جميل: وثائق مقدسية ، جـ٢، ص٢٠٤.

حصر التركات أو حصر الموجودات والبالغ عددها نحو ٤٠٠ وثيقة لا تكاد تخلو من ذكر لبعض هذه المعادن والأحجار الكريمة وبخاصة، وثائق النساء[١].

وجاء في بعض هذه الوثائق أن كثيرا من النساء في بيت المقدس في ذلك العصر، اعتدن أن يزين أعناقهن بقلائد أو سلاسل مصنوعة من البللور أو الأحجار الكريمة، كالعقيق، والجزع، أو الذهب، أو اللؤلؤ، أو الفضة، أو الخرز، ولزينة الرأس استخدمن (مشخص ذهب فلوري) أي الدينار الذهب الفلورنسي، و(ألواح ذهب جنس صوري) أي الدنانير المنسوبة إلى مدينة صور[٢] ببلاد الشام، و"لوح ذهب مكتوب فيه" أي دينار ذهب عليه بعض الكتابات، هذه الأنواع كانت توضع في عصابات الرأس، حيث تعلق بها سلاسل معدنية تثبت فيها تلك المشاخص والألواح المشار إليها، وتعد من استثمارات المرأة، حيث كان في مقدورها أن تبيعها عندما ترتفع أسعارها أو ترهنها، أو تهبها أو تورثها[٣].

ولنضرب على ذلك مثالا بما جاء في الوثيقة رقم ٣١ بتاريخ ١٤ المحرم ٧٩٧هـ/ ١٣٩٥م، وهي وثيقة حصر موجودات امرأة ضعيفة على فراش المرض، وقد ذكرت أن الذي تملكه هو: "أكرة مكحلة فضة، وحقة نحاس أصفر، وصينيتين نحاس أصفر، وزوج حلق بلؤلؤ، وطشت نحاس كبير، وشربة نحاس، وسطل صغير نحاس، ونحاس أصفر ثلاث طاسات صغار،

(١) صالحية ، محمد عيسى: من وثائق الحرم القدسي الشريف، ص٢٤، ٣٩.

(٢) صور : مدينة مشهورة من ثغور المسلمين ، مشرفة على بحر الشام ، ويحيط بها البحر من ثلاث جوانب.

البغدادي ، مراصد الاطلاع ، ج٢ ، ص ٨٥٦.

(٣) صالحية ، محمد عيسى: من وثائق الحرم القدسي الشريف ، ص٣٠، ٣١.

وزبدية نحاس، وحلق ذهب بفص صغير، وخاتم ذهب بفص لؤلؤ، وثلاثة دسوت نحاس، ومقلاة نحاس"[١].

كما أن هناك القليل من الوثائق التي انفردت بذكر معدن واحد من تلك المعادن، مثال ذلك الوثيقة رقم ٦٢٢ المؤرخة في ٢٢ رمضان ٧٨٨هـ/ ١٧ أكتوبر ١٣٨٦م، والتي تذكر أن إحدى نساء بيت المقدس وتدعى شيرين بنت عبد الله قد اشترت أدوات متعددة من النحاس الأبيض بمبلغ ٥٠٠ درهم من الفضة، وهو مبلغ لا يستهان به، بل يفوق ثمن بعض المنازل في الأحياء الشعبية في مدينة بيت المقدس آنذاك وكما سبق أن أسلفنا[٢].

وينبغي أن نذكر أن كثيرا من النساء استفدن من استثمار وقتهن وجهدهن فى بعض الحرف التي تخصصت فيها نساء بيت المقدس في ذلك العصر، والتي ما زلنا نسمع عن بعضها حتى عصرنا الحالي، والتي لم يكن للمجتمع غنى عنها، لأهميتها في حياة المعاصرين، وقد كانت تلك استثمارات مهمة في حياة المرأة. من هذه الحرف حرفة (الغاسلة) أو (المغسلة) وهي التي تقوم بتغسيل الموتى من النساء، وإعداد الأكفان لهن، وبخاصة عند المسلمين، وقد كانت تخضع في عملها لمحتسب بيت المقدس، وغالبا ما تأخذ منه تصريحا لمزاولة مهنتها هذه، ومن الطريف أن المغسلة كانت تقوم بمهمة الطبيب الشرعي في عصرنا الحالي، وبخاصة إذا كان هناك ما يستراب منه في أن

---

(١) العسلي ، كامل جميل: وثائق مقدسية ، جـ٢، ص٣٧، ٤٤.

(2) Donald P. Little: Op.cit., p. 293, العسلي، كامل جميل:وثائق مقدسية، جـ٢، ص٢٠٤

تدلي بشهادتها أمام المحتسب ،أو قاضي قضاة القدس الشافعي بأن المتوفاة لم يكن بها أثر ضرب، ولا جرح، ولا كسر، وأنها ماتت بقضاء الله وقدره[1].

ومن الحرف المتعلقة بالموتى في ذلك العصر (النائحة) أو (الندابة)، ومن الحرف المتعلقة بالزواج (الخاطبة)، ومن الحرف التي اشتغلت بها كثير من النساء حرفة (الماشطة) أو (البلانة) نظرا لكثرة الحمامات العامة، والتي قامت بإزالة الشعر من جسد النساء، وربما قامت بعمل (الوشم) على جسد الراغبات، بالإضافة إلى عمليات التدليك (المساج) وغسل أجسام المترددات على الحمام بالماء الساخن، وربما قامت بتكحيل العروس، وتمشيطها، ثم إلباسها أفخر الثياب المطرزة[2].

ومن الحرف التي أقبلت عليها بعض النساء بمختلف طوائفهن الدينية، حرفة (الدلالة)، وواضح من وثائق الحرم القدسي الشريف أن عمل الدلالة لم يكن مقصورا على تزويد النساء بما تحتاجه الواحدة منهن من أقمشة وملابس وخلافه، إنما كانت الدلالة تقوم أيضا بعملية الإقراض مقابل الحصول على رهن. يؤكد ذلك ما جاء في الوثيقة رقم ١٦٣ بتاريخ ٩ ذي القعدة ٧٩٣هـ/ ١٣٩٢م، وهي وثيقة حصر الضعيفة جوهرة بنت صلاح، والتي ذكرت أن من بين ما تملكه "زوج حلق بفص لؤلؤ الواحدة رهن عند صدقة التاجر الحلبي والأخرى مع الدلالة المشرقية رهن ثلاثة دراهم..." [3].

---

(١) على السيد علي: المرأة المصرية والشامية عصر الحروب الصليبية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص٤٩.

(٢) المقريزي "تقي الدين أحمد بن علي، ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م": السلوك في معرفة دول الملوك، القاهرة، ١٩٣٩م، جـ١، قسم ٢، ص ٣٤٢-٣٤٥؛ علي السيد علي: المرأة المصرية والشامية، ص٥٠.

(٣) العسلي ، كامل جميل: وثائق مقدسية ، جـ١، ص٢٦٧.

على الحمام بالماء الساخن، وربما قامت بتكحيل العروس، وتمشيطها، ثم إلباسها أفخر الثياب المطرزة(١).

ومن الحرف التي أقبلت عليها بعض النساء بمختلف طوائفهن الدينية، حرفة (الدلالة)، وواضح من وثائق الحرم القدسي الشريف أن عمل الدلالة لم يكن مقصورا على تزويد النساء بما تحتاجه الواحدة منهن من أقمشة وملابس وخلافه، إنما كانت الدلالة تقوم أيضا بعملية الإقراض مقابل الحصول على رهن. يؤكد ذلك ما جاء في الوثيقة رقم ١٦٣ بتاريخ ٩ ذي القعدة ٧٩٣هـ/ ١٣٩٢م، وهي وثيقة حصر الضعيفة جوهرة بنت صلاح، والتي ذكرت أن من بين ما تملكه "زوج حلق بفص لؤلؤ الواحدة رهن عند صدقة التاجر الحلبي والأخرى مع الدلالة المشرقية رهن ثلاثة دراهم..."(٢).

ومن الحرف التي أقبلت عليها بعض النساء حرفة (الفرحيات) وهي من الأضواء الجديدة في تاريخ المرأة المقدسية، والدليل على ذلك ما جاء في الوثيقة رقم ٣٤ لسنة ٩٦٣هـ من أنه "لدى الحاكم الموصي إليه- القاضي الشافعي- توافقت الريسة أصيل ابنة محمد المحروق، والحرمة زينب ابنة عمر والحرمة أصيل بنت خليل الهجان الفرحيات بالقدس الشريف أنهن من اليوم فما بعده يتعاطين الخدمة في الأفراح ومهما فتح الله عليهن ورزق يخرج منه ما هو مكتتب عليهن بالسجل السابق.. وما فضل بعد ذلك يقسم بينهن على جاري عادتهن السابقة..."(٣).

(١) المقريزي "تقي الدين أحمد بن علي، ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م": السلوك في معرفة دول الملوك، القاهرة، ١٩٣٩م، جـ١، قسم ٢، ص ٣٤٢-٣٤٥؛ علي السيد علي: المرأة المصرية والشامية، ص٥٠.

(٢) العسلي ، كامل جميل: وثائق مقدسية ، جـ١، ص٢٦٧.

(٣) العسلي ، كامل جميل: وثائق مقدسية ، جـ٣، ص٥٠.

ومن الحرف الجديدة التي أقبلت عليها بعض نساء ذلك العصر حرفة (ناظرة) أو (متولية الوقف)، يؤكد ذلك ما جاء في الوثيقة رقم ٣٨، حيث جاء النص فيها: "تصّب مولانا لحاملة هذا الكتاب الشرعي وناقلة ذا الكتاب المعتبر المرعي الحرمة صالحة بنت خليل لتقوم متولية شرعية على وقف جدها المرحوم فرزان الكائن وقفه بالقدس الشريف وهو جميع الثلاثة دور مع الاصطبلين الواقعين سفل أحدهم الواقع ذلك كله بخط مرزبان، لتتعاطى أمور التولية على الوقف المذكور..."(١).

ومن الحرف التي احترفتها بعض نساء بيت المقدس (حرفة قارئة القرآن) ولعلها مارستها في المجتمعات النسائية سواء في بعض المنشآت النسائية من رباطات وغيرها، أو زاوية النساء في المسجد الأقصى وغيره، يؤكد ذلك ما جاء في الوثيقة رقم ٣٨ من وثائق السجل رقم ٢٧٢ من سجلات المحكمة الشرعية بالقدس، والتي جاء فيها: "قرر مولانا الحاكم حاملة هذا الكتاب الشرعي الست المصونة السيدة علمية خاتون بنت المرحوم السيد محمد أفندي أبو الفضل العلمي في وظيفة قراءة ما تيسر في أي مكان تيسر من كلام الله تعالى المنيف الموقوف على ذلك جميع الدار القايمة البنا بالقدس الشريف الواقعة بزقاق أولاد نسيبة بقرب باب الحديد.."(٢).

وينبغي أن نشير إلى أنه إذا كان من حق المرأة المقدسية أن تحترف الحرفة التي تراها مناسبة لها، فقد كان من حقها أن تعتزل أية حرفة متى رأت في ذلك ضرورة، يؤكد ذلك ما جاء في الوثيقة رقم ٤٠ من السجل رقم ٣١ من سجلات المحكمة الشرعية، عندما حضرت إلى قاضي قضاة القدس الحنفي

---

(١) العسلي ، كامل جميل: وثائق مقدسية ، ص٥٤.

(٢) العسلي ، كامل جميل: وثائق مقدسية ،ج ٣ ص٥٤، ٥٥.

الحرمة أصيل ابنة خليل الهجان الفرحية بالقدس الشريف، وأشهدت على نفسها "أنها من اليوم فيما بعده لا تحضر الأفراح مع الفرحيات ولا تضرب على الدف المصنج ولا على المزهر ورجعت عن ذلك وتابت إلى الله تعالى توبة نصوحا وأنها متى غنت مع الفرحيات أو بمفردها وثبت ذلك عليها بالطريق الشرعي كان عليها القيام بصخرة الله المشرفة بسبب النكث الشرعي أربعة آلاف درهم..."(١).

العلم واستثماراته:

كان الاشتغال بطلب العلم في مراحله المختلفة وما ينجم عن ذلك من تولي العديد من الوظائف يأتي ضمن أنماط الاستثمار، والجدير بالذكر أن طلب العلم في ذلك العصر كان مجالا طيبا للحصول على الثروة، كما كان لطلاب العلم الكثير والكثير من المنشآت لتلقي العلم بالرغم صغر حجم المدينة، إذ إن مؤرخ القدس مجير الدين الحنبلي، وهو معاصر يعدد أكثر من أربعين مدرسة، وأكثر من عشرين زاوية، فضلا عن مكاتب تعليم الأطفال، إلى جانب مكاتب تعليم الأطفال عند المسيحيين والتي كانت قد زادت عن العشرين(٢).

وتشير بعض المصادر إلى أن الترب والمشاهد اتخذت مؤسسات تعليمية، حيث رتب بها منشئوها المدرسين والطلبة، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على اتساع دائرة النشاط العلمي آنذاك في مدينة بيت المقدس(٣).

---

(١) العسلي ، كامل جميل: وثائق مقدسية ، جـ٣، ص٥٤، ٥٥.

(٢) الحنبلي ، مجير الدين: الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، جـ٢، ص٥٦١-٥٩٦.

(٣) ابن فضل الله العمري "شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى، ت ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م": كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٤٣٧٦، جـ٥، ورقة، ٢٢، ابن شاهين "غرس الدين خليل، ت ٨٧٣هـ١٤٦٨م": كتاب زبدة=

أما طلاب المدارس في مدينة بيت المقدس وهي الكليات الجامعية بمصطلح عصرنا الحديث، فقد تراوح دخل الطالب الشهري ما بين ٧,٥ دراهم وما بين ٤٥ درهما، بل وصل في بعض الأحيان إلى ١٠٠ درهم، كما وصل دخل كل معيد من معيدي المدارس ما بين ٣٠ درهما و١٠٠ درهم شهريًا، مع ثلثي رطل من الخبز يوميا، وأوقية من لحم الضأن المطبوخ، أما المدرس، وهو أستاذ المادة، فقد كان يتقاضى ما بين ١٢٠ و ١٥٠ درهما شهريا، بل وصل في بعض الأحيان إلى ٤٥٠ درهما شهريا. أما شيخ المدرسة وهو في مرتبة العميد، فقد كان يحصل على قرابة ٥١٠ دراهم شهريا، وكان في كل مدرسة قارئ للحديث النبوي الشريف يتناول ما بين ٣٠-٧٠ درهما شهريا، إلى جانب مفرق المصحف الشريف والذي عرف باسم مفرق الربعة الشريفة، وتراوح دخله الشهري ما بين ١٠-١٠٠ درهم، إلى جانب الإمام الذي كان أقل ما يصرف له ٨٠ درهما شهريا، إلى جانب ما كان يحصل عليه كل واحد منهم من خبز، وزيت زيتون، وصابون، ولحم ضأن، مطبوخا يوميا، فضلا عن التوسعة في العيدين(١).

ولنا أن نتخيل مدى الاستثمار في مجال التعليم، فإذا ألقينا نظرة على وثيقة وقف الناصر حسن بن محمد بن قلاوون، وما كان يصرف فيها من مبالغ

=كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، باريس، ١٨٩٤م، ص٢٧؛ الحنبلي ، مجير الدين: الأنس الجليل، جـ٢، ص٥٦١-٥٩٦.

(١) إبراهيم ، عبد اللطيف: وثيقة وقف السلطان قايتباي، دراسة وتحليل المدرسة بالقدس والجامع بغزة، القاهرة، ١٩٦١م، ص٤١١-٤١٢؛ العسلي ، كامل جميل: وثائق مقدسية، جـ١، ص١١٥-١١٦.

وصلت إلى ٥٧٧٦٨ درهما سنويا، لأدركنا ضخامة تلك الأموال التي كانت تصرف على التعليم في أكثر من أربعين مدرسة[١].

المنشآت الاجتماعية واستثماراتها:

يأتي في مقدمة هذه المنشآت الحمامات التي أدت دورًا هاما وبارزًا في مجال النظافة البدنية، وفي طهارة الجسم وصحته، وقد كانت معروفة في القدس وغيرها من بلاد الشام منذ عهد اليونان، والرومان، والبيزنطيين[٢]؛ إلا أنها منذ بداية العصر الإسلامي تميزت بالإتقان والقاعات الواسعة والزخارف والبذخ في التصميم والبناء [٣]. وفي أواخر العصر المملوكي تم إحصاء ١٣ حمامًا في القدس، كلها كانت مراكز اجتماعية للتجميل، أو للعلاج كونها منشآت صحية، كما كان الرجال والنساء كل على حدة يعقدون المجالس فيها للحديث والتسلية، والغناء[٤]. وكان المحتسب يشرف على تلك الحمامات وآداب الاستحمام فضلا عن مواعيد عملها وفتحها، خصوصًا قبل وقت الصلاة للتطهر، والمحافظة على ملابس الناس بها [٥].

وجدير بالذكر أن حمامات بيت المقدس، طوال عصورها التاريخية بوجه عام، وعصر سلاطين المماليك بوجه خاص، كانت تمثل منشآت استثمارية مهمة، أنشأها من أنشأها لدورها الاجتماعي والصحي من جهة،

---

(١) وثيقة وقف السلطان حسن بن الناصر محمد بن قلاوون، الوثيقة رقم ٤١ محفظة رقم ٦، دار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٢) العسلي ، كامل جميل: من آثارنا في بيت المقدس، عمان، ١٩٨٢م، ص١٦٣.

(٣) العسلي ، كامل جميل: من آثارنا في بيت المقدس، ص١٦٣.

(٤) العسلي ، كامل جميل: من آثارنا في بيت المقدس ، ص١٦٤.

(٥) ابن الإخوة (محمد بن محمد بن أحمد القرشي، ت ٧٢٩هـ/١٣٢٩م): معالم القربة، في أحكام الحسبة، القاهرة ، ١٩٧٦م، ص ١٥٥- ١٥٦.

ولعائدها الاستثماري من جهة أخرى، ثم أوقفوها على جهات البر والتقوى، مثل المسجد الأقصى والخوائق وغيرها. ولنأخذ مثالًا على ذلك بحمام البطرك، والذي كان يقع عند بركة حمام البطرك، في حارة النصارى، بين كنيسة القيامة وباب الخليل. وقد أوقفه صلاح الدين الأيوبي بعد استرداد القدس من أيدي الفرنج، على الخانقاه الصلاحية، التي كانت دار بطرك اللاتين [١]، وما يزال مبناها قائمًا حتى الآن، وهي أقدم خوانق القدس وأشهرها [٢].

والوثيقة رقم ٤٦ وتاريخها ١٩ محرم سنة ٧٤٧هـ، وموضوعها استئمار حمام البطرك ، وفي الطرف الأيسر العلوي منها عبارة قاضي قضاة القدس وناظر الخانقاه الصلاحية وشيخها وهي: "اعترف المستأجران عندي بذلك" ونص الوثيقة بعد البسملة : "هذا ما استأجر داود بن نصر بن سيار وشقيقه أحمد بمالهما لأنفسهما بالسوية بينهما من الشيخ الإمام العالم العامل نجل العلماء الصالحين ابن غانم بن الشيخ القدوة العارف شرف الدين عيسى ابن غانم بما إليه في ذلك شرعا من النظر والمشيخة على الخانقاه الصلاحية بالقدس الشريف، فأجر كلا منهما في عقد واحد صفقة واحدة جميع الحمام الكاين في القدس الشريف المعروف بحمام البطرك... إجارة شرعية مشتملة على انقضاء المدة بأجرة مبلغها من الدراهم الفضة النقرة الجياد الوازنة معاملة يومئذ عن كل يوم يمضي من يوم تاريخه ثلاثة عشر درهما يقومان بعشرة دراهم للأجر المذكور من غير منع عند غروب شمس كل يوم من تاريخه وثلاثة دراهم يحاسبان به لأجل دخول الصوفية واغتسالهم في الحمام المذكور، ويستأجره لينتفعا به انتفاع مثله وذلك بعد النظر والمعرفة والمعاقدة الشرعية، وتسلم المستأجران العين المؤجرة بإذن دخولهما في ذلك تسليمًا صحيحًا شرعيًّا وقبض

(١) العسلي ، كامل جميل: من آثارنا في بيت المقدس، ص ٢١٣، ٢١٤.

(٢) العسلي ، كامل جميل: معاهد العلم في بيت المقدس، عمان، ١٩٨١م ، ص٣٣٠.

المؤجر المذكور من المستأجرين المذكورين سلفًا وتعجلا مبلغ ثلاثمائة درهم قسط شهر كامل من يوم تاريخه والباقي مقسط في كل يوم بقسطه يحل عند غروب شمس كل يوم بعد مضي شهر كامل من يوم تاريخه...».وفي آخر الوثيقة توقيع الشهود.

وبعبارة أخرى أنه تم تأجير هذا الحمام بمبلغ ٣٩٠ درهمًا، دفع المستأجران منها مقدمًا ٣٠٠ درهم، على أن يخصم الباقي وقدره ٩٠ تسعون درهما نظير دخول صوفية الخانقاه المذكورة للاستحمام. وبذلك كان يدر الحمام استثمارًا سنويا يقدر بمبلغ ٤٦٨٠درهما، يخصم منها ١٠٨٠ درهما سنويا نظير استحمام الصوفية [١].

أما حمام الشفا الذي شيده الأمير سيف الدين تنكز نائب الشام سنة ٧٣٠هـ/ ١٣٢٩، وأوقفه على المدرسة ورباط النساء في باب السلسلة بالقدس كان إيجاره في السنة بمبلغ ٤٠٠ دينار. وأن حمام العين وقف صخرة الله قد بلغ إيجاره في السنة ٨٠٠٠ دينار. وهو أشهر حمامات القدس حتى القرن العشرين للميلاد، والذي يقع عند ملتقى طريق الوادي بسوق القطانين، وهو الحمام الثاني الذي أوقفه الأمير سيف الدين تنكز في القدس [٢] وأن حمام باب الأسباط كان يدر دخلا يقدر بمبلغ ١٤٠٠٠ درهمٍ سنويا في القرن العاشر الهجري[٣].وأن حمام باب العامود بالقدس والذي لا نعرف موقعه بالضبط كان يدر مبلغًا سنويا يقدر بـــ٣٤٧ دينارا، وكان وقفا على الصخرة المشرفة [٤].

---

(١) العسلي ، كامل جميل العسلي: وثائق مقدسية تاريخية، ج١، ص ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧.

(٢) العسلي ، كامل جميل: من آثارنا في بيت المقدس، ص١٨٥، ١٩١.

(٣) العسلي ، كامل جميل: من آثارنا في بيت المقدس ، ص٢٠٤

(٤) العسلي ، كامل جميل: من آثارنا في بيت المقدس ، ص٣١١

كانت تلك الحمامات في بيت المقدس أمثلة لاستثمار جيد، كما أنها كانت منشآت اجتماعية مهمة تم وقفها على منشآت أخرى خيرية ودينية. يؤكد ذلك الاستثمار الجيد الذي استمر حتى العصر العثماني ما جاء في الوثيقة رقم ١٤٥، والتي نصت على أن تدفع المرأة درهما فضيا عن كل مرة تتردد فيها على الحمام – وما أكثر المناسبات التي كانت تتردد فيها على الحمام– وألا تدفع أكثر من ذلك (١).

ومن المنشآت الاجتماعية ذات الاستثمار الجيد كانت (الخانات) ومفردها (خان)، ويقصد به الوكالة التجارية وكان يتولاها الوكيل الذي يتولى خدمة التجار سواء في خزن بضائعهم أو بيعها أو أية خدمات أخرى تتصل بها، ويتقاضى عمولة مقابل خدماته وكانت الخانات في العصر المملوكي بوجه عام وفي القرنين الثامن والتاسع الهجريين يوجه خاص تمثل استثمارات جيدة تم وقفها على مؤسسات دينية أو خيرية أو على الفقراء عامة، ابتغاء وجه الله، وكان يتم تأجيرها إلى وكلاء التجار وقد بلغ عدد ما عرفناه من خانات القدس ستة عشر خانا، معظمها تم إنشاؤه في عصر سلاطين المماليك. وفي سجلات محكمة القدس الشرعية معلومات كثيرة عن خانات القدس، وقد كانت مؤسسات وقفية، وقفت ووقف عليها. أي أنها كانت تؤجر وينفق ريعها في أوجه البر. كما أنه يتبين من خانات بيت المقدس ومواقعها أن منطقتي باب القطانين، وباب السلسلة، وهما متقاربتان، كانتا أكثر المناطق التجارية أهمية، كما أن الخان كان مركزًا تجاريا به عدة دكاكين.

وعن وظائف الخان يذكر مجير الدين الحنبلي في حديثه عن خان السلطان وسماه خان الوكالة فقال: "خان الوكالة، وهو خان عظيم وقف على

---

(١) عطا الله ، محمود علي ، وثائق الطوائف الحرفية في القدس في القرن السابع عشر الميلادي، نابلس، ذي الحجة ١٤١١هـ، حزيران، ١٩٩١م، ص ١٩٤

مصالح المسجد الأقصى، يؤجر في السنة بأربعمائة دينار يباع فيه أصناف البضائع" أي نحو ٩٦٠٠درهم" [١]، ومن هذا الوصف يتضح للوهلة الأولى أن الخان كان سوقا تجارية في الدرجة الأولى[٢]. فمجير الدين يؤكد الصفة التجارية للخان دون غيرها من وظائف الخان كإيواء الضيوف[٣].

وأن الذي كان يستأجره والذي عرف في ذلك العصر باسم المعلم كان من أصحاب المهن التجارية. أي كان تاجرًا وكانت بعض هذه الخانات وقفا على الحرمين الشريفين في بلاد الحجاز [٤]. وبعضها كان جاريا في وقف المسجد الأقصى [٥].

ومن خانات بيت المقدس يأتي خان دار الوكالة والذي قدرت وارداته في أواخر القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي بمبلغ ٢٥٥٠٠ درهم [٦].

كما كانت الدكاكين مصدرًا مهمًا للاستثمار، إذ يذكر الدفتر رقم ١٣١ أن الدكاكين في سوق العمار بالقدس وعددها ٧٨ دكانًا كان ريعها في السنة ٢١٧٢٠ درهمًا [٧]. بالإضافة إلى المخازن والتي يذكر منها مخزن الدق الذي

---

(١) الأنس الجليل، جـ٢، ص٥٢.

(٢) العسلي ، كامل جميل: من آثارنا في بيت المقدس، ص ٤١– ٤٨.

(٣) العسلي ، كامل جميل: من آثارنا في بيت المقدس ، ص٤٨.

(٤) العسلي ، كامل جميل: من آثارنا في بيت المقدس ، ص ٧٦

(٥) العسلي ، كامل جميل: من آثارنا في بيت المقدس ، ص ٧٨.

(٦) البخيت، محمد عدنان: لواء القدس الشريف من دفتر تحرير ١٣١، عمان، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص١١١.

(٧) البخيت، محمد عدنان: لواء القدس الشريف ، ص ١١٢.

كان يدر ريعا قدره ٤٣٦ درهمًا سنويا [١] فضلا عن الطواحين، والتي يذكر منها طاحون حارة اليهود، والذي كان يدر ريعا قدره ١٠٨٠ درهمًا سنويًا [٢].

كذلك كانت القرى أو أجزاء منها الموقوفة على مقامات الأنبياء الكرام في مدينة بيت المقدس، من الاستثمارات الهامة مثل مقام النبي موسى عليه الصلاة والسلام، ومقام سيدنا يونس عليه السلام، ومقام سيدنا لوط عليه السلام، ومقام الخليل عليه الصلاة والسلام، إذا كانت قرية مزرعة بالقدس تدر ريعًا عن ٨ قراريط منها موقوفة على مقام سيدنا موسى يقدر بمبلغ ٢٦٦٦ درهمًا سنويا، وقرية فاعور بالقدس الشريف تدر ريعًا سنويا على وقف مقامات موسى ويونس ولوط عليهم السلام يقدر بمبلغ ٢٠٠٠٠درهما سنويا، واستمرت تلك المؤسسات بأداء دورها طوال العصر المملوكي إلى أن خضعت المنطقة بأسرها للعثمانيين الذين قاموا من جديد بتحرير الأوقاف المحبوسة عليها في دفاتر خاصة بالأوقاف، ومنها الدفتر رقم (T.D ١٣١) [٣].

بلا شك كانت هناك بعض المنشآت المسيحية، التي كانت تدر ريعًا معقولا، وتعد استثمارًا طيبا في الوقت نفسه، مثل: دير مصلبة النصارى والموقوف عليها مزرعة العكول، ومزرعة العظمين ناحية الرملة، وبلغ ريع هذا الوقف من هذه المزارع ٢٠٠٠ درهم سنويا [٤].

وباستثناء ذلك فليس لدينا معلومات أخرى عن استثمارات النصارى في بيت المقدس، ولعل هذا راجع إلى قلة أعدادهم، فقد بلغ عدد النصارى في

---

(١) البخيت، محمد عدنان: لواء القدس الشريف، ص ١١٢.

(٢) البخيت، محمد عدنان: لواء القدس الشريف ، ص ١١٢.

(٣) البخيت، محمد عدنان: لواء القدس الشريف ، ص ١١٦، ١١٧.

(٤) البخيت، محمد عدنان: لواء القدس الشريف ، ص ١٤٩.

مدينة القدس حسب الإحصاء الذي أورده دفتر (T.D ٤٢٧) ٩١١شخصًا[١].كما أورد الدفتر نفسه أن عدد اليهود بها كان ١٩١ شخصا، وليس هناك أي ذكر عن أي نوع من الاستثمارات لهم، ولعل ذلك راجع إلى أنهم كانوا من المهاجرين الذين طردوا من إسبانيا سنة ٨٩٨هـ/ ١٤٩٢م[٢].

* *

(١) البخيت ، محمد عدنان: لواء القدس الشريف من دفتر تحرير (T.D ٤٢٧)، عمان، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص ٥١.

(٢) البخيت ، محمد عدنان: لواء القدس الشريف ، ص ٥٣، ٥٤.

الخاتمــة :

إن فلسطين بصفة عامة والقدس بصفة خاصة تحتل مكانا بارزًا في عقل ووجدان جميع المشتغلين في حقل التاريخ . والواقع أن القدس لها في القلوب حنين خاص فهي زهرة المدائن ، على أرضها ظهرت بعض الأديان مثل المسيحية، لذلك فهي تمثل لنا جميعا أهمية بالغة استحقت كل هذا الاهتمام ، خاصة بعد الأحداث الأخيرة التي تنطوى على مسخ هوية القدس.

لذلك يرى الباحث ضرورة إعطاء الحق لأصحابه ، وأن تظهر هوية القدس العربية واضحة بضرب الأمثال الحقيقية عن واقع القدس في عصر من أهم عصورها التاريخية ، وهو عصر سلاطين المماليك ، والتي عادت فيه القدس إلى أحضان الدولة العربية الإسلامية ، وشهدت كثافة سكانية ليس لها مثيل طوال تاريخها ، كما نعمت باستقرار واضح، حقق كثيرا من الرقي والازدهار في شتى جوانب الحياة في المدينة المقدسة ومنها موضوعنا ، وهو (أنماط الاستثمار) فيها في ذلك العصر ، وهو من الموضوعات التي لا تشغل بال المؤرخين العرب فحسب ، بل تشغل بال العالم كله . والله أسأل أن يخرج هذا البحث إلى النور، وأن يوفقنا لخدمة قضايا وطننا العربي الكبير ، وأن يؤتي هذا العمل الطيب ثماره ، ويكون نقطة بداية الانطلاق نحو تحرير القدس وحمايتها من خطر التهويد، وعودتها إلى الحظيرة العربية الإسلامية غانمة سالمة كاملة، كما عادت من قبل أيام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – والناصر صلاح الدين الأيوبي ولن يتحقق ذلك بالأماني وحدها ، بل بالعمل الجاد والمخلص ، وتكثيف الجهود العربية في شتى المجالات ، والله نعم العون والمعين .

كما أظهر البحث العديد من الاستثمارات ، مثل الاستثمار السياحى والدينى ، والزراعة واستثماراتها ، والتجارة والاستثمار ، والصناعة

والاستثمار ، والمرأة واستثماراتها واستغلال وقتها وجهدها فى بعض الحرف كنوع من الاستثمار ، ثم الاشتغال بالعلم كنوع من الاستثمار وتراكم الثروة ، وأخيرًا المنشآت الاجتماعية واستثماراتها ، مثل الحمامات ، والخانات ، وبعض القرى وأجزاء منها ، وأخيرًا بعض المنشآت المسيحية واستثماراتها .

* *

قائمة المصادر والمراجع

أولاً :المصادر والمراجع العربية

١. القرآن الكريم

٢. إبراهيم ، عبداللطيف، وثيقة وقف السلطان قايتباي، دراسة وتحليل المدرسة بالقدس والجامع بغزة، القاهرة، ١٩٦١م.

٣. ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن محمد ت ٦٣٠هـ /١٢٩٢م" ، الكامل في التاريخ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

٤. ابن الإخوة، محمد بن محمد بن أحمد القرشي ت٧٢٩هـ/١٣٢٩م" ، معالم القربة في أحكام الحسبة، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، ١٩٧٦م.

٥. الإمام ، رشاد: مدينة القدس في العصر الوسيط، تونس، ١٩٧٦م.

٦. البخيت، محمد عدنان

- <u>لواء القدس الشريف من دفتر تحرير ١٣١</u>، عمان ، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٠م.
- <u>لواء القدس الشريف من دفتر تحرير ٤٢٧</u>، عمان ، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م

٧. ابن بطوطة ،" أبوعبدالله محمد بن إبراهيم ت ٧٧٩هـ /١٣٧٧م " ، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأمصار ، تحقيق عبدالهادي التازي، الرباط ، ١٩٩٧م.

٨. البغدادي ، صفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق ت ٧٣٩هـ /١٣٣٨م ، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٣٧٣هـ /١٩٥٤م.

٩. بوس ، أدريان: مدينة بيت المقدس زمن الحرب الصليبية، ترجمة علي السيد علي ، المركز القومي للترجمة، ٢٠١٠م

١٠. ابن حجر العسقلاني، "شهاب الدين أحمد بن عليت ٨٥٢هـ/١٤٨٨م" ، إنباء الغمر بأنباء العمر، القاهرة، ١٦٦٩م.

١١. الحنبلي، "مجير الدين أبو اليمن ت ٩٢٧هـ /١٥٢١م "، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، القاهرة ١٢٨٣هـ.

١٢. الدباغ ، مصطفى مراد ، بلادنا فلسطين ، دار الطليعة ، ١٣٩٢هـ /١٩٧٢م.

١٣. دراج، أحمد وثائق دير صهيون بالقدس الشريف، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ، ١٩٦٨م.

١٤. ابن رشد، "محمد بن أحمد بن محمد ت ٥٩٥هـ /١١٩٨م " ، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، بيروت ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م.

١٥. زكي ، نعيم، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى ، القاهرة، ١٩٧٣م.

١٦. زيادة ، نيقولا ، رواد الشرق العربي في العصور الوسطى، بيت المقدس، ١٩٤٣م.

١٧. السبكي، "تاج الدين عبدالوهاب ت ٧٧١هـ /١٣٦٩م " ، معيد النعم ومبيد النقم، مصر ١٩٤٨م.

١٨. ابن شاهين ، " غرس الدين خليل ت ٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م" ، كتاب زينة كشف المماليك وبيان الطرق والمسالك ، باريس ، ١٨٩٤م.

١٩. شراب ، محمد محمد حسن ، معجم بلدان فلسطين ، الأهلية للنشر ، لبنان، ٢٠٠٠م.

٢٠. صالحية، محمد عيسى ، من وثائق الحرم القسي الشريف المملوكية ، حوليات كلية الآداب بالكويت ، الحولية الثالثة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

٢١. عاشور ، سعيد عبدالفتاح ، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك ، دار النهضة العربية ، بيروت.

٢٢. العسلي ، كامل جميل

- معاهد العلم في بيت المقدس ، عمان ١٩٨١م.
- من آثارنا في بيت المقدس ، عمان ، جمعية عمال المطابع التعاونية ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨١م.
- وثائق مقدسية تاريخية ، عمان ١٩٨٥م.

٢٣. عطا الله ، محمود علي ، وثائق الطوائف الحرفية بالقدس في القرن السابع عشر الميلادي ، نابلس ، ١٤١١هـ /١٩٩١م.

٢٤. علي السيد علي

- القدس في العصر المملوكي، القاهرة ، ١٩٨٦م.
- المرأة المصرية والشامية عصر الحروب الصليبية ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٢م.

٢٥. أبو الفدا ، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م ، تقويم البلدان ، دار صادر ، بيروت .

٢٦. ابن فضل الله العمري ، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى ت ٧٤٢هـ / ١٦٤١م ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٤٣٧٦ ، ج ٥.

٢٧. القزويني ، زكريا بن محمد بمن محمود ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م"، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٢م.

٢٨. القلقشندي ، أبوالعباس أحمد بن علي ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م" ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٩١٤م.

٢٩. المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي ت ٨٥٤هـ /١٤٤١م" ، السلوك في معرفة دول الملوك ، القاهرة ١٩٣٩م.

٣٠. الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٦هـ.

٣١. الهروي ، أبو الحسن علي بن أبي بكر ٦١١هـ / كتاب الإشارات إلى معرفة الزيارات ، تحقيق جانين سورويل – طومين ، دمشق ، ١٩٥٣م.

٣٢. هنري كتن ، القدس ، ترجمة إبراهيم الراهي ، دار لبنان للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٧م

٣٣. وثيقة وقف السلطان حسن بن الناصر محمد بن قلاوون ، الوثيقة رقم ٤١، محفظة رقم ٦ ، دار الوثائق القومية ، القاهرة.

٣٤. ياقوت الحموي ، " شهاب الدين بن عبدالله ت٦٢٦هـ /١٢٢٨م" ، معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٧هـ /١٩٧٧م.

ثانيًا :المصادر والمراجع الأجنبية

١. Bartlet (W. H): Jerusalem Revisited, London, ١٨٥٤,.

٢. Brocquire: The Travels of Bertrandon de la Brocqire to Palestine, London, ١٨٠٧

٣. Donald P. Little: A catalogue of the Islamic Documents from Al – Haram As - Saif in Jerus alem, Beirut, ١٩٨٤

٤. Graham, Stephen: With the Rusian Pilgrims to Jerusalem, London, ١٩٢٧

٥. Felix Falri: Palestine pilgrims text society, London, ١٨٩٧

٦. Francesco Souriano: Treatise on the Holy Lond, Jerusalem, ١٩٤٨

٧. Margret Newett: Conon Pietro Casala's Pilgrms to Jerusalem in the year ١٤٩٤, London, ١٩٠٧

٨. Marie-Joseph: A pilgrimage to Palestine, Egypt and Syria, London ١٨٤٠.

٩. Once to Sinai, the further Pilgrims of felix febri, London, ١٩٥٧,.

١٠. Pero Tafur: Travels and A dventures, London, ١٩٢٦, P. ٥٩; Margret Newett: Op.cit..

١١. Ray John: A collection of Curious Travels and Voyages, London, ١٩٩٣, Vol.I.,.

١٢. Thomas Wright: Early Travels in Palestine, London, ١٨٨٦,

The Investment Patterns in Jerusalem During Memlouk Sultans Reign

Abstract

This study is based on first hand information drawn from authentic resources which expose the Zionist false claim about Jerusalem. Those resources always constituted compelling evidences that this city is an Arab city.In recent years, the Zionists have been celebrating the ٥٠th anniversary of the creation of their illegitimate and transient state. While the Muslims and Arabs express grief over that catastrophic event marking the start of a series of plights in the Palestinian history, as seen in usurping their homeland and turning its population in a diaspora, the Israeli PM defiantly announces plans for Judaizing the holy city and declaring it a permanent capital of the Israeli aggressor entity attempting to obliterate its Islamic identity.

This study covers the investment patterns during the Memlouks reign in Jerusalem. Its arguments are mainly supported by documents retrieved from the Jerusalem Aqssa Mosque which all assert the city's belonging to the Arabs after a thorough review.

I look forward to making reading this study both and enjoyable and beneficial reading experience.

I pray that Allah Almighty may enable our voices in support of this cause heard in international fora. This studies touches on the following topics : an introduction – religious tourism and investment – industry and investment by women in Jerusalem – knowledge and knowledge based investments- social institutions and their investments activities, - a conclusion – a list of references and an abstract in English.

* * *